محاضرات في علوم القرآن

المحاضرة الثالثة
جمع القرآن

1ــ كتابة القرآن:

كان النبي ρ يأمر بكتابة القرآن, واتخذ ممن كان يحسن القراءة والكتابة من الصحابة كُتَّابًا للوحي, ومن الأدلة التي تثبت كتابة الوحي ما رواه مسلم في صحيحه, من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ τ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ: « لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي, وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ, وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ, وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ – مُتَعَمِّدًا, فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[1].

وكان من أجلة الصحابة من كتب الوحي: عثمان بن عفان, وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت, وغيرهم, رضي الله عنهم أجمعين. عَنْ خَارِجَةَ بن زَيْدِ بن ثَابِتٍ، أَنَّهُ قَالَ: « دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى زَيْدِ بن ثَابِتٍ، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا بَعْضَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ρ، فَقَالَ: وَمَا أُحَدِّثُكُمْ ؟ كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَكَتَبْتُ الْوَحْيَ »[2].

وروى الترمذي وغيره, عن ابْنِ عَبَّاسٍ τ, عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ τ, قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ρ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ, فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلاَءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا, وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ, فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا »[3].

كان الصحابة يكتبون القرآن في[4]: قال زيد بن ثابت بعد أن أُمِر بجمع القرآن: " فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع, والأكتاف, والعسب, وصدور الرجال ".

1 ــ الرِّقاع: وهي جمع رقعة، وهي القطعة من الجلد وقد تكون من غيره كالقماش أو الورق، وهو غالب ما كتب عليه الوحي. قال زيد بن ثابت: " كنا عند رسول الله ρ نؤلف القرآن من الرقاع " .

---

[1] ـ رواه مسلم (حديث 7702).
[2] ـ المعجم الكبير للطبراني (حديث 4749).
[3] ـ الترمذي في السنن (حديث 3086). أحمد في المسند (حديث 399). الحاكم في المستدرك (حديث 3272).
[4] ـ انظر: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابةً , علي بن سليمان العبيد.

2 ــ الأكتاف: وهي جمع كتف، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان, قال السيوطي: " هو العظم الذي للبعير أو الشاة ".

3 ــ العُسُب: وهو جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

4 ــ اللِّخاف: وهو جمع لَخْفَة، وهي صفائح الحجارة, قال زيد بن ثابت: " فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف ".

5 ــ الأقتاب: وهو جمع قتب، وهو قطع الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليه الإنسان، قال زيد بن ثابت في رواية ابن أبي داود: " فجمعت القرآن, أجمعه من الأكتاف, والأقتاب, والعسب وصدور الرجال.

ومما كانوا يكتبون فيه: الصحف, والألواح, والكرانيف, وغيرها.

ومع أن الصحابة قد كتبوا القرآن في حياة النبي ρ, لكنهم لم يتمكنوا من جمعه في مصحف واحد إلا بعد وفاته ρ.

2- جمع القرآن:

- **في عهد أبي بكر الصديق τ:**

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: " أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَأَتَيْتُهُ, وَعِنْدَهُ عُمَرُ, فَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي, فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ, وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ, فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ρ ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ, فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ, ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ غُلاَمٌ شَابٌّ عَاقِلٌ, لاَ نَتَّهِمُكَ, قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ρ, فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ, فَاجْمَعْهُ, فَقُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ρ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ, فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاللَّهِ، لَوْ كَلَّفَانِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الَّذِي كَلَّفَانِي، ثُمَّ تَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ، وَالرِّقَاعِ، وَالصُّحُفِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ, حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ, لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرَهُ: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ] [التوبة : 128] حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ,

فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ, ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ, ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "[1].

وكانت غزوة اليمامة عام (12هـ) شارك فيها عدد كبير من الصحابة القُرَّاء. واستشهد في هذه الغزوة كثير منهم, على رأسهم: سالم مولى أبي حذيفة τ, " وكان من فضلاء الموالي, ومن خيار الصحابة وكبارهم ... وكان يَؤُمُّ المهاجرين بقُباءَ, وفيهم عمر بن الخطّاب, قبل أنْ يقدم رسول الله ρ المدينة, ورُوي أنَه هاجر مع عمر بن الخطّاب ونفر من الصحابة بمكّة، وكان يؤمّهم لأنّه كان أكثرهم قراناً "[2].

وكان زيد τ في كتابته للمصحف شديد التثبت في إثبات الآي في مواطنها على ما اتفق عليه أصحاب النبي ρ, فلا يكتب إلا ما ثبت بشهادة رجلين, فقد صح عنه τ قال: " لَمَّا كُتِبَتِ الْمَصَاحِفُ فَقَدْتُ آيَةً كُنْتُ أَسْمَعُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ρ، فَوَجَدْتُهَا عِنْدَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ] [الأحزاب: 23] إِلَى: (تَبْدِيلاً)، قَالَ: فَكَانَ خُزَيْمَةُ يُدْعَى ذَا الشَّهَادَتَيْنِ, أَجَازَ رَسُولُ اللهِ ρ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ "[3].

وكل ذلك تصديق لما جاء في الوحي, قال ربنا عز وجل: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] [الحجر: 9].

- **في عهد عثمان بن عفان τ:**

روى البخاري في صحيحه, أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَ: " أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ، فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ، مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ؛ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وعَبْدَ الرَّحْمَانِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْد بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي

---

[1] ـ رواه البخاري (حديث 4679).
[2] ـ انظر: الوافي بالوفيات, صلاح الدين الصفدي (5/ 25) .
[3] ـ أحمد في المسند (حديث 21695).

الْمَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ "[1].

قال الإمام الطحاوي في (شرح مشكل الآثار) : " ثُمَّ إِنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَرْجِ أَرْمِينِيَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى أَتَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكِ النَّاسَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ: غَزَوْتُ أَرْمِينِيَةَ, فَحَضَرَهَا أَهْلُ الْعِرَاقِ, وَأَهْلُ الشَّامِ, وَإِذَا أَهْلُ الشَّامِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ أُبَيٍّ، فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فَيُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ, وَإِذَا أَهْلُ الْعِرَاقِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ, فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الشَّامِ فَيُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الشَّامِ, قَالَ: زَيْدٌ: فَأَمَرَنِي عُثْمَانُ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ مُصْحَفًا، وَقَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ مَعَكَ رَجُلًا لَبِيبًا فَصِيحًا، فَمَا اجْتَمَعْتُمَا فِيهِ فَاكْتُبَاهُ, وَمَا اخْتَلَفْتُمَا فِيهِ فَارْفَعَاهُ إِلَيَّ، فَجَعَلَ مَعَهُ أَبَانَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ, فَلَمَّا بَلَغَ: [إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ] [البقرة: 248] قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ أَنَا: (التَّابُوهُ), وَقَالَ أَبَانُ: (التَّابُوتُ) [البقرة: 248]، فَرَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ فَكَتَبَ: التَّابُوتَ، ثُمَّ عَرَضْتُهُ، يَعْنِي الْمُصْحَفَ، عَرْضَةً أُخْرَى فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ تُعْطِيَهُ الصَّحِيفَةَ وَحَلَفَ لَهَا لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا، فَأَعْطَتْهُ، فَعَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَيْهَا, فَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي شَيْءٍ، فَرَدَّهَا عَلَيْهَا وَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَكْتُبُوا الْمَصَاحِفَ "[2] .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (الطحاوي): " فَوَقَفْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ جَمْعَ الْقُرْآنِ كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ, وَعُمَرَ, رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا, وَهُمَا رَاشِدَانِ مَهْدِيَّانِ, وَقَدْ تَقَدَّمَ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ρ بِالْقُدْوَةِ بِهِمَا، وَقَدْ رُوِّينَا ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَّا فِي كِتَابِنَا هَذَا، وَتَابَعَهُمَا عُثْمَانُ τ عَلَى ذَلِكَ, وَهُوَ إِمَامٌ رَاشِدٌ مَهْدِيٌّ، وَتَابَعَهُمْ عَلَيْهِ أَيْضًا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ, وَهُوَ كَاتِبُ الْوَحْيِ لِرَسُولِ اللهِ ρ، فَكَتَبَ الْمُصْحَفَ لِعُثْمَانَ بِيَدِهِ، وَتَابَعَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ρ عَلَى ذَلِكَ، فَصَارَ إِجْمَاعًا، وَالنَّقْلُ بِالْإِجْمَاعِ هُوَ الْحُجَّةُ الَّتِي بِمِثْلِهَا نُقِلَ الْإِسْلَامُ إِلَيْنَا حَتَّى عَلِمْنَا شَرَائِعَهُ، وَحَتَّى وَقَفْنَا عَلَى عَدَدِ الصَّلَوَاتِ وَعَلَى مَا سِوَاهَا مِمَّا هُوَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ "[3].

---

[1] ـ البخاري في صحيحه (حديث 4987).

[2] ـ شرح مشكل الآثار, أبو جعفر الطحاوي, تحقيق: شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى, 1415هـ ، 1494م. (8/ 128).

[3] ـ المصدر سابق.